المباحث العقدية في سورة الصافات وأثرها على الفرد والمجتمع

حسين حميد عباس (*)

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدّه الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله -ﷺ- وبعد .

إن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة للنبي -ﷺ- أحكمه الله فأتقن إحكامه، وفصّله فأحسن تفصيله، وهو بحر لا يدرك غوره، ولا تنفذ دُرره، ولا تنقضي عجائبه فيجب البحث فيه، لاستخراج لآلئه وللكشف عن علومه وحقائقه، وإظهار إعجازه، وقضايا العقيدة كانت موضع اهتمام القرآن الكريم، الذي يؤسِّس بناء الفرد على عقيدة التوحيد؛ لأن بها صحة إيمانه وصحة إسلامه، والعبد بلا عقيدة كالجسد بلا روح؛ لأن العقيدة هي أساس قيام الأعمال، فكل عمل ليس على أساس عقدي صحيح فإنه غير مقبول.

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة في اشتمال سورة الصافات على أصول التوحيد والعقيدة، وهذا أكثر شيء تحتاج إليه الأمة الإسلامية في هذه الفترة العصيبة من تاريخها، بعد انتشار الفتن والمعتقدات والأفكار الضالة، وتكالب الأعداء عليها من كل حدب وصوب.

أسباب اختيار الموضوع :

والذي دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب منها:

- تعلق هذا الموضوع بكتاب الله -ﷻ- وسنة نبيه-ﷺ- وهما أجل العلوم وأشرفها.
- أهمية هذا الموضوع لاشتمال سورة الصافات على قضايا عقدية بالغة الأهمية.

(*) باحث دكتوراه في الفلسفة الإسلامية- كلية دار العلوم- جامعة المنيا.

- انتشار كثير من الأفكار والمعتقدات الضالة وانتسابها إلى الإسلام وهو منها براء.
- إن هذه السورة الكريمة مثالًا واضحًا على انتصار العقيدة الصحيحة على الشرك .
- ضرورة ربط واقع الناس بالقرآن والسنة لما لهما من أثر على حياة الفرد والمجتمع .

أهداف الدراسة :

- دراسة حجج وأدلة القرآن في إثبات بعض الحقائق الغيبية .
- ربط أحداث السورة بالواقع والاستفادة منها .
- بيان آثار السورة على الفرد والمجتمع .
- بيان أصول العقيدة الصحيحة وتجنب ما عداها من معتقدات وأفكار .

منهج الدراسة :

إن المنهج المستخدم في الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي.

خطة البحث :

تمَّ تقسيم البحث إلى مقدِّمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة متضمنة أهم النتائج، وفهرس للمصادر والمراجع.

- **المقدمة:** وقد تناولت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره وهدفه والمنه المستخدم في الدراسة ثم هيكلية البحث.
- **أما التمهيد:** فيتناول التعريف بسورة الصافات(تاريخ نزولها ووجه تسميتها، والغرض منها، وترتيبها، وفضلها)

المبحث الأول- التوحيد في سورة الصافات وينقسم إلى:

أولًا – توحيد الألوهية .

ثانيًا – توحيد الربوبية .

المبحث الثاني- بعنوان الإيمان بالملائكة في سورة الصافات ويتضمن :
أولًا – تعريف الملائكة لغة واصطلاحاً وحكم الإيمان بالملائكة:
ثانيًا - من أعمال الملائكة التي أنيطت إليهم في سورة الصافات .

أما المبحث الثالث- فقد جاء بعنوان الإيمان باليوم الآخر في سورة الصافات: ويشتمل على:
أولًا - دلالة السورة على النفخ في الصور.
ثانيًا - دلالة السورة على البعث .
ثالثًا- دلالة السورة على الإيمان بالحشر.
رابعًا- دلالة السورة على الإيمان بالحساب .
خامسًا- دلالة السورة على الجنة وما أعد الله لعباده فيها.
سادسًا- دلالة السورة على النار وما أعد الله فيها للظالمين.

والمبحث الرابع- بعنوان الإيمان بالقضاء والقدر في سورة الصافات: ويحتوي على:
أولًا - مفهوم القضاء والقدر وحكم الإيمان بالقضاء والقدر:
ثانيًا - درجات القدر في السورة الكريمة:

ويتناول المبحث الخامس- أثر العقيدة على الفرد والمجتمع في ضوء سورة الصافات: وينقسم إلى:
أولًا – أثر العقيدة على الفرد في ضوء سورة الصافات.
ثانيًا - أثر العقيدة على المجتمع في ضوء سورة الصافات.

الخاتمة: وقد اشتملت على أهم النتائج. ثم قائمة بالمصادر والمراجع .

التمهيد

سورة الصافات :

هِيَ مَكِّيَّةٌ بِالِاتِّفَاقِ وَهِيَ السَّادِسَةُ وَالْخَمْسُونَ فِي تَعْدَادِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَقَبْلَ سُورَةِ لُقْمَانَ، وَعُدَّتْ آيُهَا مِائَةً وَاثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعَدَدِ(*). وَعَدَّهَا الْبَصْرِيُّونَ مِائَةً وَإِحْدَى وَثَمَانِينَ، (١) وَقِيلَ: آيَتَانِ(٢).

تاريخ نزولها ووجه تسميتها(٣)

نزلت سورة «الصافات» بعد سورة «الأنعام»، وقد نزلت سورة الأنعام بعد الإسراء وقبيل الهجرة، فيكون نزول سورة «الصافات» في ذلك التاريخ أيضا.

---

* - إن الأعداد التي يتداولها الناس بالنقل ويعدون بها ستة: عدد أهل المدينة الأول والأخير، وعدد أهل مكة، وعدد أهل الكوفة، وعدد أهل البصرة، وعدد أهل الشام؛ فعدد أهل المدينة الأول رواه أهل الكوفة عنهم، ولم ينسبوه إلى أحد منهم بعينه ولا أسندوه إليه بل أوقفوه على جماعتهم، وقد رواه نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ عن أبي جعفر يزيد بن القعْقاع وَشَيْبَة بن نصاح وهو الذي كان يعد به القدماء من أصحاب نافع ورواه عامة المصريين عن عثمان بن سعيد ورش عنه ودونوه وأخذوا به، وأما عدد أهل المدينة الأخير فرواه إسماعيل بن جعفر وعيسى ابن مينا قالون المدنيان عن سليمان بن مسلم بن جماز عن أبي جعفر وَشَيْبَة موقوفا عليهما، وأما عدد أهل مكة فرواه عبد الله بن كثير القارئ عن مجاهد بن جبر عن عبد الله بن عباس عن أبي بن كعب موقوفا عليه، وأما عدد أهل الكوفة فرواه حمزة الزيات عن ابن أبي ليلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا ورواه عن حمزة الكسائي وسليم بن عيسى وغيرهما، وأما عدد أهل البصرة فرواه المعلى بن عيسى الوراق وهيصم بن الشداخ وشهاب بن شرنفة عن عاصم بن أبي الصّباح الجحدري مَوْقوفا عليه وبه كان يعد أيوب بن المتوكل ويعقوب بن إسحاق الحضرمي، وأما عدد أهل الشام فرواه أيوب بن تميم القارئ عن يحيى بن الحارث الذماري موقوفا عليه وبعضهم يوقفه على عبد الله بن عامر اليحصبي القارئ. (البيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، انظر: صـــ ٦٧- ٦٩).

١ - التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤ هـ، (٨١/٢٣)؛ مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، لإبراهيم البقاعي (المتوفى:٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف – الرياض، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م، (٤٠٨/٢).

٢ - الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، (٢٣٦/١).

٣ - الموسوعة القرآنية، خصائص السور، لجعفر شرف الدين، تحقيق : عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط١- ١٤٢٠هـــ، (٢٠٥/٧).

وقد سمّيت هذه السورة بهذا الاسم لابتدائها بالقسم به، والمراد به الملائكة الّتي تقف صفوفا للعبادة، أو تصفّ أجنحتها في الهواء، منتظرة وصول أمر الله إليها.

مناسبة سورة الصافات لما قبلها حسب ترتيب المصحف :

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من نواح ثلاث:

١- وجود الشبه بين أول هذه السورة وآخر يس السورة المتقدمة عليها في بيان قدرته تعالى الشاملة لكل شيء في السموات والأرض، ومنها المعاد وإحياء الموتى(١).

٢- إن هذه السورة بعد «يس» كـ «الأعراف» بعد «الأنعام»، وكـ «الشعراء» بعد «الفرقان»، في تفصيل أحوال القرون المشار إلى إهلاكهم، كما أنّ تينك السّورتين تفصيل لمثل ذلك(٢).

٣- توضح هذه السورة ما أجمل في السورة السابقة من أحوال المؤمنين وأحوال الكافرين في الدنيا والآخرة(٣).

الغرض من سورة الصافات وترتيبها(٤)

يقصد من هذه السورة إبطال الشرك واعتقادات المشركين، وقد كانوا يعبدون الملائكة ويزعمون أنّها بنات الله، ويتّخذون من الشّياطين قرناء يطيعونهم، ويزعمون أنّ بينهم وبين الله نسبا، وأنّهم يصعدون إلى السماء فيطّلعون على أسرارها ويخبرونهم بها، فابتدأت السّورة بإثبات وحدانية الله- تعالى- وأشارت إلى أن الملائكة عباد مسخّرون للعبادة وحراسة السماء من الشياطين وذكر السّياق أنّ الشياطين عباد مدحورون لا يعرفون شيئا من أخبار السماء، وأنّ الله تعالى أمر النبيّ -ﷺ- أن يستفتيهم فيما يكون من أمرهم، وهم أضعف منهم

---

١ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر– دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ، (٦٠/٢٣- ٦١)؛ تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م، انظر (٤١/٢٣).

٢ - أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، ط٢، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، (١/ ١٢٨).

٣ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة، لوهبة الزحيلي، (٦٠/٢٣- ٦١)؛ انظر تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، (٤١/٢٣).

٤ - الموسوعة القرآنية، خصائص السور، (٢٠٥/٧- ٢٠٦).

خلقا، لينذرهم بقدرته على بعثهم وحسابهم مع شياطينهم وآلهتهم، وبما قصّ عليهم من أخبار الماضين ليكون فيها عبرة لهم، ثم أمره جلّ جلاله أن يستفتيهم ثانيا في صحّة ما زعموه من أن الملائكة بنات الله، ومن أنّ بينه وبين الجنّة نسبا .. وقد ختمت السّورة السابقة لها في ترتيب المصحف- سورة يسن- بالاستدلال بخلق السماوات والأرض على قدرته سبحانه على بعثهم وقد جاء في أوّل هذه السّورة أنهم أضعف من غيرهم خلقا، فيكون بعثهم أهون عليه جلّ وعلا من غيرهم.

- أما فضلها فيبينه الحديث الذي رواه النسائي : عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَأْمُرُ بِالتَّخْفِيفِ وَيَؤُمُّنَا بِالصَّافَّاتِ»(١)

المبحث الأول – التوحيد في سورة الصافات

توطئة :

التوحيد لغة:

قال ابن منظور: والتوحيد...الإيمان بالله وحده لا شريك له والله الواحد الأحد ذو الوحدانية والتوحد... ثم قال: فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير (٢).

وقيل إن التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد (٣)

وقيل إن التوحيد هو الإيمان بالله، والله الأوحد والمتوحد ذو الوحدانية"(٤).

---

١ - سنن النسائي، للنسائي، باب الرُّخْصَةُ لِلْإِمَامِ فِي التَّطْوِيلِ، كتاب المساجد، للنسائي، حديث رقم ٩٠٢.

٢ - لسان العرب، لابن منظور(المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، ط٣ - ١٤١٤هـ، (٣/ ٤٥٠) مادة (وح د).

٣ - التعريفات، للجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تحقيق :عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ، (٦٩/١).

٤ - القاموس المحيط، للفيروزآبادي (المتوفى سنة٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـــــ، (٣٤٤/١)

وقال الراغب:" الوحدة الانفراد، والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة، ثم يطلق على كل موجود، حتى أنه ما من عدد إلا ويصح أن يوصف به، فيقال عشرة واحدة، ومائة واحدة، وألف واحد ... "(١).

من هذا يتبين لنا أن مادة "وحد" وكلمة وحدة تدور حول انفراد الشيء بذاته أو بصفاته أو بأفعاله، وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه.

التوحيد اصطلاحًا :

هو عبادة الله وحده لا شريك له مع ما يتضمنه من أنه لا رب لشيء من الممكنات سواه" (٢)

وقيل هو نفي التقسيم لذاته، ونفي التشبيه عن حقه وصفاته، ونفي الشريك معه في أفعاله

ومصنوعاته(٣).

وقال الشهرستاني: "إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له"(٤) .

ومما سبق يتضح لنا أن التوحيد اصطلاحا يدور حول نفي الشريك والنظير والتشبيه والتقسيم.

---

١ - المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١ - ١٤١٢ هـ. صـ٥١٤.

٢ - درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام، ط١، ١٣٩٩هـ.(١/ ٣٠٦).

٣ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (المتوفى: ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣ هـ، (٣٥٧/١٠).

٤ - الملل والنحل، للشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، تعليق محمد سيد كيلاني، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٥هـ، (٤٢/١).

أقسام التوحيد :

قسم العلماء التوحيد باعتبار متعلقه إلى ثلاثة أقسام(*):

القسم الأول : توحيد الألوهية :

القسم الثاني – توحيد الربوبية :

القسم الثالث – توحيد الأسماء والصفات :

قال السفاريني: " اعلم أن التوحيد ثلاثة أقسام: توحيد الربوبيّة، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الصفات، فتوحيد الربوبية أن لا خالق ولا رازق، ولا محيي ولا مميت، ولا موجد ولا معدوم إلا الله تعالى، وتوحيد الإلهية إفراده - تعالى- بالعبادة، والتأله له، والخضوع والذل، والحب والافتقار، والتوجه إليه - تعالى، وتوحيد الصفات أن يوصف الله - تعالى - بما وصَف به نفسهُ، وبما وصفه به نبيه – صلى الله عليه وسلم – نفيا وإثباتا، فيثبت له ما أثبته لنفسه، وَيُنْفى عنه ما نفاه عن نفسه" (١).

العلاقة بين أنواع التوحيد :

أما العلاقة بين أنواع التوحيد فهي علاقة متلازمة، فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، بمعنى أن من أقر بتوحيد الربوبية فإنه يلزمه أن يقر بتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، بمعنى أن من عبد الله فإن ذلك متضمن لإقراره بأن الله ربه وخالقه ورازقه، وتوحيد الألوهية والربوبية

---

* - ذكر العلماء تقسيمات مختلفة للتوحيد وعلى الرغم من تنوعها إلا أنها متفقة في المضمون، فمنهم من قال: التوحيد قسمان: توحيد المعرفة والإثبات وتوحيد القصد والطلب، ومنهم من قسمه إلى التوحيد العلمي الخبري والتوحيد الإرادي الطلبي، ويرى البعض أنه ينقسم إلى توحيد السيادة وتوحيد العبادة.

ومنهم من قسمه إلى التوحيد القولي والتوحيد العملي. ينظر: (مجموع الفتاوى، لابن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)، تحقيق : أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، ط٢، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م، (١/ ٣٦٧)، مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، (١/ ٤٨)، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات لمحمد بن خليفة التميمي أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م، انظر(١/ ٣٨- ٣٩ – ٤٠).

١- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م، (١/١٢٧- ١٢٨).

متضمن لتوحيد الأسماء والصفات، فإن الإله المعبود والرب الخالق لابد أن يكون له الصفات العلى الكاملة الدالة على استحقاقه للربوبية والألوهية .

وسوف يقتصر حديثنا عن القسمين الأولين لاشتمال سورة الصافات عليهما .

أولًا – توحيد الألوهية :

الألوهية لغة :

مصدر ألَه يألَه ألوهة وألوهية (١).

قال ابن فارس:"الألف واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد، فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال تألّه الرجل إذا تعبد "(٢).

وقال ابن منظور: " الإِلَهُ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكُلُّ مَا اتُّخِذَ مِنْ دُونِهِ مَعْبُودًا إِلَهٌ عِنْدَ مُتَّخِذِهِ، وَالْجَمْعُ آلِهَةٌ. والآلِهَةُ: الأصنام، سُمُّوا بِذَلِكَ لِاعْتِقَادِهِمْ أَن الْعِبَادَةَ تَحُقُّ لَهَا، وأسماؤُهم تَتْبَعُ اعْتِقَادَاتِهِمْ لَا مَا عَلَيْهِ الشَّيْءُ فِي نَفْسِهِ، وَهُوَ بَيِّنُ الإِلَهِةِ والأُلْهانيَّةِ "(٣)

ويقول ابن فارس : " (أَلَهَ) الْهَمْزَةُ وَاللَّامُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ. فَالْإِلَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مَعْبُودٌ. وَيُقَالُ: تَأَلَّهَ الرَّجُلُ: إِذَا تَعَبَّدَ(٤)

الألوهية اصطلاحًا :

"الله": علم على الذات الواجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، فهو اسم للموجود الحق الواجب الوجود المستحق للعبادة(٥).

---

١ - تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ينظر: (١/ ١٨٩).

٢ - معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ٨٦.

٣ - لسان العرب، لابن منظور، (٤٦٧/١٣).

٤ - معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (١٢٧/١).

٥ - تاج العروس في جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٦هـ، انظر (٣٧٤/٩).

قال شيخ الإسلام :" الْإِلَهُ :هو الذي يُوَلَّهُ فيعبد محبة وإنابة وإجلالا وإكراما"(١) وتوحيد الألوهية هو إفراد الله - تعالى - بجميع أنواع العبادة؛ الظاهرة، والباطنة، قولاً، وعملاً، ونفي العبادة عن كل من سوى الله - ﷻ- كائناً من كان(٢).

وقيل هو إفراد الله بالعبادة: قولا، وقصدا، وفعلًا، فلا يُنذر إلا له، ولا تُقرب القرابين إلا إليه، ولا يُدعى في السَراء والضراء إلا إياه، ولا يُستغاث إلا به، ولا يُتوكل إلا عليه، إلى غير ذلك من أنواع العبادة(٣).

توحيد الألوهية في سورة الصافات :

لقد ذكرت السورة هذا النوع من التوحيد في عدة آيات منها :

- قوله تعالى :﴿ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾(٤)

قال الطبري:" يعني تعالى ذكره بقوله: (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ) ... إن معبودكم الذي يستوجب عليكم أيها الناس العبادة، وإخلاص الطاعة منكم له لواحد لا ثاني له ولا شريك... فأخلصوا العبادة وإياه فأفردوا بالطاعة، ولا تجعلوا له في عبادتكم إياه شريكا" (٥)

- قوله تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يقول الطبري: " هو واحد خالق السموات السبع وما بينهما من الخلق، ومالك ذلك كله، والقيِّم على جميع ذلك، يقول: فالعبادة لا تصلح إلا لمن هذه صفته، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا معه في عبادتكم إياه من لا يضر ولا ينفع، ولا يخلق شيئا ولا يُفْنيه"(٦)

---

١ - مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٢٢/١).

١- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة، للحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، تحقيق: حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ، انظر صـــ٥١.

٢- مذكرة التوحيد، لعبد الرزاق عفيفي (المتوفى: ١٤١٥هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـــ، صـــ٤٠.

٤ - سورة الصافات الآيتان ٤-٥.

٥ - جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، (٩/٢١)؛ تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، (٤٢/٢٣).

٦ - جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (٩/٢١).

وقال الرازي : " إن انتظام أحوال السموات وَالْأَرْضِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِلَهَ وَاحِدٌ، فَهَهُنَا لَمَّا قَالَ:﴿ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ أردفه بقوله:﴿ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَرَبُّ الْمَشارِقِ﴾ كَأَنَّهُ قِيلَ قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ النَّظَرَ فِي انتظام هذا العالم يدل على كونه الْإِلَهِ وَاحِدًا فَتَأَمَّلُوا فِي ذَلِكَ الدَّلِيلِ لِيَحْصُلَ لَكُمُ الْعِلْمُ بِالتَّوْحِيدِ "(١)

وقال الخازن :" يعني أنه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك "(٢)

- قال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾(٣)

من أكاذيب المشركين الوثنيين وافتراءاتهم قولهم: البنات لله، والملائكة بنات الله، والملائكة إناث، وكل ذلك باطل، لأنهم نسبوا لله الولد وهو الذي لم يلد ولم يولد، وكان يستنكفون من البنت، والشيء الذي يستنكف المخلوق منه، كيف يمكن إثباته للخالق، ولم يشهدوا كيفية تخليق الله الملائكة، فكيف يزعمون أنهم إناث؟!!(٤).

- قال تعالى:﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(٥)قال الطبري : " قوله (سُبْحَانَ اللَّهِ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ) يقول تعالى ذكره تنزيهًا لله، وتبرئة له مما يضيف إليه هؤلاء المشركون به، ويفترون عليه، ويصفونه، من أن له بنات، وأن له صاحبة(٦).

وقال الرازي :" كَوْنُهُ مُنَزَّهًا فِي الْإِلَهِيَّةِ عَنِ الشَّرِيكِ وَالنَّظِيرِ (٧)

---

١ - مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي(المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٤٢٠ هـ، (٣١٦/٢٦).

٢ - لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ - ١٤١٥ هـ، (١٥/٤).

٣ - سورة الصافات الآيتان ١٤٩-١٥٠.

٤ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة، لوهبة الزحيلي، (١٥٣/٢٣).

٥ - سورة الصافات آية ١٥٩.

٦ - جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (١٢١/٢١).

٧ - مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، (٣٤٦/٢٦).

ثانيًا – توحيد الربوبية في سورة الصافات.

توحيد الربوبية لغةً:

رب: الرّبّ، هُوَ الله تبَارك وتَعالى، هُوَ رَبُّ كُلّ شَيْء، أي مَالِكه، وَله الرّبُوبيّة على جَميع الخَلْق لَا شَرِيك لَهُ، ويقالُ: فلانٌ رَبّ هَذَا الشَّيْء، أي مِلْكه لَهُ.

وَلَا يُقال الرّب بِالْألف وَاللَّام، لغير الله، وَهُوَ رَبّ الأرْبَاب، وَمَالك المُلوك، وكُل مَن مَلك شَيْئا فَهُوَ رَبُّه(١).

توحيد الربوبية اصطلاحًا :

وهو الإقرار الجازم بأن الله وحده ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، وأنه الخالق للعالم، المحيي المميت، الرزاق ذو القوة المتين، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، لا رادَّ لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له، ولا مماثل، ولا سمي، ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته(٢).

ومما تجدر الإشارة إليه أن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأنَّ خالق السماوات والأرض واحد كما أخبر تعالى عنـــهم بقوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السماواتِ والأَرْضَ لَيَقولُنَّ اللهُ﴾(٣) وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيها إِنْ كُنْتمْ تَعْلَمونَ۞ سَيَقولونَ للهِ قُلْ أَفلا تَذْكرونَ﴾(٤)

لوازم توحيد الربوبية في سورة الصافات :

أ- الاعتقاد بعظيم قدرة الله-ﷻ-:

لقد وردت عدة آيات في سورة الصافات تثبت هذا المعنى منها:

---

١ - تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (١٢٨/١٥).

٢ - أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، للحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، صـ١٩؛ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، انظر صـ١٧؛ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي، دار ابن القيم – الدمام، ط١، ١٤١٠ – ١٩٩٠م، (٢/ ٤٥٩).

٣ - سورة لقمان آية ٢٥.

٤ - سورة المؤمنون الآيتان ٨٤ - ٨٥.

- قوله تعالى: ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ... فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾(١)، يقول الله-ﷻ- لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل لهؤلاء: نعم أنتم مبعوثون بعد مصيركم ترابا وعظاما أحياء كما كنتم قبل مماتكم، وأنتم داخرون(*) (٢)

- قوله تعالى:﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾(٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد -ﷺ- فاستفت يا محمد هؤلاء المشركين الذين يُنكرون البعث بعد الممات والنشور بعد البلاء.. فسَلْهم... أخلقُهم أشد أم خلق من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسموات والأرض ؟(٤)

- ومن الآيات التي تدل على هذا المعنى َقوْلُهُ تعالى:﴿ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾(٥)

قال الرازي:" هذا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى جَمِيعِ الْحَوَادِثِ" (٦)

ب- الاعتقاد بأن الله -ﷻ- هو المتفرد بالنعم :

- قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾(٧) يقول الطبري: ولولا أن الله أنعم عليّ بهدايته، والتوفيق للإيمان بالبعث بعد الموت، لكنتُ من المحضَرين معك في عذاب الله(٨).

---

١ - سورة الصافات الآيات ١٦-١٩.

* - (داخرون): صاغرون، أذلاء. ينظر (المخصص - لابن سيده، تحقيق : خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت – ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م(٤٠٢/٣)؛ غريب القرآن، لابن قتيبة الدينوري (المتوفى : ٢٧٦هـ)، تحقيق : أحمد صقر، دار الكتب العلمية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م، صـــ٢٤٣؛ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لأبي حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م(صـــ١٢٣).

٢ - جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (٢٥/٢١).

٣ - سورة الصافات آية ١٥٩.

٤ - جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (١٩/٢١).

٥ - سورة الصافات آية١٨٠.

٦ - مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، (٣٤٦/٢٦).

٧ - سورة الصافات آية ٥٧.

٨ - جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (٥١/٢١).

ويقول ابن كثير: " أيْ: وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيَّ لَكُنْتُ مِثْلَكَ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ حَيْثُ أَنْتَ، مُحْضَرٌ مَعَكَ فِي الْعَذَابِ، وَلَكِنَّهُ تَفَضَّلَ عَلَيَّ وَرَحِمَنِي فَهَدَانِي لِلْإِيمَانِ، وَأَرْشَدَنِي إِلَى تَوْحِيدِهِ "(١)

ج- الاعتقاد بأن الحياة والموت من الله -ﷻ-:

لقد تحدثت السورة عن هذا المعنى في العديد من آياتها منها :

- قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ .... وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾(٢)

قال ابن كثير: " يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا ضَالِّينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى، وَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَرْسَلَ فِيهِمْ مُنْذِرِينَ، يُنْذِرُونَ بَأْسَ اللَّهِ، وَيُحَذِّرُونَهُمْ سَطْوَتَهُ وَنِقْمَتَهُ، مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ وَعَبَدَ غَيْرَهُ، وَأَنَّهُمْ تَمَادَوْا عَلَى مُخَالَفَةِ رُسُلِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، فَأَهْلَكَ الْمُكَذِّبِينَ وَدَمَّرَهُمْ، وَنَجَّى الْمُؤْمِنِينَ وَنَصَرَهُمْ وَظَفَّرَهُمْ"(٣)

- وقوله تعالى:﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ... ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾(٤)

قال القرطبي: " يقول تعالى ذكره: إنا كما فعلنا بنوح مجازاة له على طاعتنا وصبره على أذى قومه في رضانا وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ وأبقينا عليه ثناء في الآخرين (كَذَلِكَ نَجْزِي) الذين يحسنون فيطيعوننا، وينتهون إلى أمرنا، ويصبرون على الأذى فينا، وقوله (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) يقول: إن نوحا من عبادنا الذين آمنوا بنا، فوحدونا، وأخلصوا لنا العبادة، وأفردونا بالألوهة ... ثم أغرقنا حين نجَّينا نوحا وأهله من الكرب العظيم من بقي من قومه" (٥).

د- الاعتقاد بأن العطاء والمنع من الله -ﷻ- :

إن توحيد الربوبية يتطلب الاعتقاد الجازم بأن العطاء والمنع من الله -ﷻ- وهذا ما أكدت عليه السورة في عدة آيات منها :

---

١ - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١٦/٧).

٢ - سورة الصافات الآيات ٧١-٧٥.

٣ - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٢٢/٧).

٤ - سورة الصافات الآيات٧٦- ٨٢.

٥ - جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (٦٠/٢١-٦١).

- قوله تعالى:﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ۞ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (١) وهذا مسألة إبراهيم ربه أن يرزقه ولدا صالحا؛ يقول: قال: يا رب هب لي منك ولدا يكون من الصالحين الذين يطيعونك، ولا يعصونك، ويصلحون في الأرض، ولا يفسدون(٢).

قال المراغي: "ولما هاجر من وطنه طلب الولد فقال:(رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) أي رب هب لي أولادا مطيعين يعينونني على الدعوة، ويؤنسونني في الغربة، ويكونون عوضا من قومي وعشيرتي الذين فارقتهم، فاستجاب ربه دعاءه فقال: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) أي فبشرناه بمولود ذكر يبلغ الحلم ويكون حليما(٣).

المبحث الثاني – الإيمان بالملائكة في سورة الصافات

أولًا – تعريف الملائكة لغة واصطلاحاً وحكم الإيمان بالملائكة:

– الملائكة لغةً:

الملك واحد الملائكة إنما هو تخفيف الملأك والأصل مألك فقدموا اللام وأخروا الهمزة فقالوا ملأك وهو مفعل من الألوك وهو الرسالة واجتمعوا على حذف همزته(٤).

- الملائكة اصطلاحًا:

هم أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكُّل بأشكالٍ مختلفة مسكنها السموات خلقت من النور (٥) وهم الرسل والوسائط بين الله تعالى الذي خصهم بالنبوة

١ - سورة الصافات الآيتان ١٠٠- ١٠١.
٢ - جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (٧٢/٢١).
٣ - تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، (٧٢/٢٣).
٤ - العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د ـت. (٣٨٠/٥)؛ القاموس المحيط، للفيروزآبادي (١/ ١٢٣٢).
٥ - منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٠٦ هـ، (٢/ ٥٣٣).

والرسالة وتعليم العلوم وبين إيقاظ النفوس من الهلكة(١) فهم بذلك عالم غيبي غير محسوس وليس لهم وجود جسماني يدرك بالحواس، وهم من عوالم ما وراء الطبيعة أو غير المنظورة، التي لا يعلم حقيقتها إلا الله، وهم مجبولون على الطاعة ومنزهون عن المعاصي.(٢)

- حكم الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان وأصل من أصول العقيدة قال تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)(٣)، وَقال اللَّهُ تَعَالَى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا) (٤).

وأما دلالة السنة على وجوب الإيمان بالملائكة فعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ»(٥)

فوجود الملائكة ثابت بالدليل القطعي الذي لا يمكن أن يلحقه شك، ومن هنا كان إنكار وجودهم كفرًا بإجماع المسلمين .

---

١ - الرد على الزنادقة والجهمية، لأحمد بن حنبل، تحقيق : محمد حسن راشد، المطبعة السلفية - القاهرة، ١٣٩٣هـ، (٢١٧/١)؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي القرطبي (المتوفى: ٤٥٦هـ) مكتبة الخانجي – القاهرة، د – ت، (١٤٧/١).

٢ - الرد على الزنادقة والجهمية، لأحمد بن حنبل، صـ٢١٧.

٣ - سورة البقرة آية ٢٨٥.

٤ - سورة النساء آية ١٣٦.

٥ - صحيح البخاري، بَابُ قَوْلِهِ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} (سورة لقمان آية ٣٤)، كتاب تفسير تفسير القرآن، حديث (رقم ٤٧٧٧)؛ صحيح مسلم، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، كتاب الإيمان، حديث (رقم ١)، (اللفظ للبخاري).

ثانيًا – من أعمال الملائكة التي أنيطت إليهم في سورة الصافات.

لقد دلت سورة "الصافات" على أن لله ملائكة أسند إليهم بعض المهام في عدة آيات منها: قوله تعالى:﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۞ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۞ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾(١)

ذكرت الآيات بعض الأعمال التي أنيطت للملائكة، وهي:

١- أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَقِفُونَ صُفُوفًا. إِمَّا فِي السموات لِأَدَاءِ الْعِبَادَاتِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) (٢) وَقِيلَ إِنَّهُمْ يَصِفُّونَ أَجْنِحَتَهُمْ فِي الْهَوَاءِ يَقِفُونَ مُنْتَظِرِينَ وُصُولَ أَمْرِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، وَيُحْتَمَلُ أَيْضًا أَنْ يُقَالَ مَعْنَى كَوْنِهِمْ صُفُوفًا أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَرْتَبَةً مُعَيَّنَةً وَدَرَجَةً مُعَيَّنَةً فِي الشَّرَفِ وَالْفَضِيلَةِ أَوْ فِي الذَّاتِ وَالْعَلِيَّةِ وَتِلْكَ الدَّرَجَةُ الْمُرَتَّبَةُ بَاقِيَةٌ غَيْرُ مُتَغَيِّرَةٍ وَذَلِكَ يُشْبِهُ الصُّفُوفَ(٣)

٢- زجر السحاب، في وَصْفِ الْمَلَائِكَةِ بِالزَّجْرِ وُجُوهٌ الأول: قال ابن عباس يريد الملائكة الذي وُكِّلُوا بِالسَّحَابِ يَزْجُرُونَهَا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يَأْتُونَ بِهَا مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ الثَّانِي: الْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَهُمْ تَأْثِيرَاتٌ فِي قُلُوبِ بَنِي آدَمَ عَلَى سَبِيلِ الْإِلْهَامَاتِ فَهُمْ يَزْجُرُونَهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي زَجْرًا الثَّالِثُ: لَعَلَّ الْمَلَائِكَةَ أَيْضًا يَزْجُرُونَ الشَّيَاطِينَ عَنِ التَّعَرُّضِ لِبَنِي آدَمَ بِالشَّرِّ وَالْإِيذَاءِ. (٤)

٣- قراءة كتاب الله تعالى في الصلاة، وعلى الأنبياء، والأولياء للتذكير بها وغرس الشرائع في النفوس(٥).

وجاء وصفهم بما يدل على أنهم يلقون الذكر على غيرهم من الأنبياء، لأجل الإعذار والإنذار به. قوله تعالى: (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا۞عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) (٦)

---

١ - سورة الصافات الآيات ١-٣.

٢ - سورة الصافات آية ١٦٥.

٣ - مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، (٣١٣/٢٦).

٤ - المرجع نفسه ٣١٤؛ الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، (٦٢/١٥).

٥ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة، لوهبة الزحيلي، (٦٤/٢٣).

٦ - سورة المرسلات الآيتان ٥- ٦.

قال الإمام ابن كثير: قوله: فَالتَّالِياتِ ذِكْراً هم الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس، وهذه الآية كقوله تعالى:(فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً. عُذْراً أَوْ نُذْراً)(١)(٢)

- ومن الآيات التي وردت في سورة الصافات التي تبين بعض المهام التي أنيطت للملائكة قوله تعالى: ﴿ وَما مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ ۞ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۞ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴾(٣)

ذكرت الآيات الكريمة بعض الأعمال التي أنيطت للملائكة، وهي:

- إن لكل واحد منهم مرتبة لا يتجاوزها، ودرجة لا يتعدى عنها، قال الرازي: "قَوْلِهِ تَعَالَى: وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَرْتَبَةً لَا يَتَجَاوَزُهَا وَدَرَجَةً لَا يَتَعَدَّى عَنْهَا، وَتِلْكَ الدَّرَجَاتُ إِشَارَةٌ إِلَى دَرَجَاتِهِمْ فِي التَّصَرُّفِ فِي أَجْسَامِ هَذَا الْعَالَمِ وَإِلَى دَرَجَاتِهِمْ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ "(٤)

- إنهم صافون صفوفا في أداء الطاعات ومنازل الخدمة والعبودية، قال المراغي: "(وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) أي وإنا لنقف صفوفا في أداء الطاعات، ومنازل الكرامات، لكل منا منزلة لا يعدوها، ومرتبة لا يتخطاها، وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال:« خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلم ونحن في المسجد فقال: ألا تصفّون كما تصفّ الملائكة عند ربها، فقلنا: يا رسول الله كيف تصفّ الملائكة عند ربها ؟ قال: يتمّون الصفوف الأول ويتراصّون في الصف»(٥)

- إنهم دائما يسبحون الله تعالى، والتسبيح: تنزيه الله عما لا يليق به.

ومما سبق يتضح لنا أن الأعمال التي كلف الله بها الملائكة وأمرهم بالقيام بها، على قسمين: أعمال عامة يشتركون جميعاً فيها، وتتمثل في عبادة الله سبحانه، وتسبيحه ليلاً ونهاراً، بلا ملل ولا فتور،

وأعمال خاصة لبعض الملائكة، كزجر السحاب .

---

١ - سورة المرسلات الآيتان ٥- ٦.

٢ - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٦/٧).

٣ - سورة الصافات الآيات١٦٤-١٦٦.

٤ - مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، (٣٦٢/٢٦).

٥ - تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، (٨٩/٢٣).

المبحث الثالث – الإيمان باليوم الآخر في سورة الصافات :

توطئة :

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، ولا يكون المسلم مؤمنا إلا إذا كان على يقين بأن هناك يوم يجمع فيه الخلائق للحساب، فإما جنة أو نار.

ولا يتحقق الإيمان باليوم الآخر إلا بالاعتقاد الجازم بكل ما أخبر عنه الله -ﷻ- في كتابه، أو أخبر عنه النبي -ﷺ- في سنته، عمّ يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذابه ونعيمه، وبعث الناس من قبورهم، وحشرهم، والعرض وتطاير الصحف، والحساب والميزان، والحوض والشفاعة، والصراط، نهاية بالدخول إما إلى الجنة وإما إلى النار(١) .

ولقد تحدثت سورة الصافات عن مشاهد عدة من مشاهد اليوم الأخر منها :

أولًا – دلالة السورة على النفخ في الصور:

معنى الصور:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال أعرابي يا رسول الله ما الصور؟ " قال قرن ينفخ فيه"(٢)، وجاء في صحيح البخاري الصور هو البوق الذي ينفخ فيه يوم القيامة(٣) والنفخ في الصور ثلاث نفخات نَفْخَةُ الْفَزَعِ، ثُمَّ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، ثُمَّ نَفْخَةُ الْبَعْثِ كم ورد في القرآن الكريم وفي سنة الحبيب -ﷺ.

أما عن دلالة السورة على النفخ في الصور فقد دلت السورة على وجوب الإيمان بالنفخ في الصور في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾(٤)

---

١ - الإيمان، محمد ياسين، مكتبة السنة، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، انظر صـ٧٠.

٢ - سنن الترمذي، باب ما جاء في شأن الصور، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث (رقم ٢٤٣٠).

٣ - صحيح البخاري، باب يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا، كتاب تفسير القرآن، حديث (رقم ٤٦٥٠).

٤ - سورة الصافات آية ١٩.

يقول تعالى ذكره: إنما بعثهم من مرقدهم يكون بصيحة واحدة يصيحها إسرافيل فيهم بأمرنا، فإذا هم قيام من قبورهم ينظرون إلى ما حولهم في ذهول، وينتظرون في استسلام وذلة حكم الله- تعالى- فيهم(١).

والتعبير عن الصيحة بالزجرة للدلالة على شدتها وعنفها على هؤلاء المشركين، وأنها قد أتتهم ممن لا يستطيعون معصية أمره(٢).

ثانيًا – دلالة سورة الصافات على البعث :

البعث لغة:

بعَثَهُ وابْتَعَثَهُ بمعنىً، أي أرسله، فانبعثَ، وقولهم: كنتَ في بَعْثِ فلانٍ، أي في جيشه الذي بُعِثَ معه، والبُعوثُ: الجيوش، وبَعَثْتُ الناقةَ: أثرْتُها، وبَعَثَ الموتى: نَشَرَهُم ليوم البعث، وانْبَعَثَ في السير، أي أسرع. وتَبَعَّثَ منِّي الشِعْرُ، أي انبعثَ، كأنَّه سارَ.(٣)

البعث اصطلاحًا:

فقد عرفه ابن كثير قائلاً "الْبَعْثِ وَهُوَ الْمَعَادُ، وَقِيَامُ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(٤)

أما عن دلالة سورة الصافات على البعث فقد دلت سورة الصافات على الإيمان بالبعث في قوله تعالى:(أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ..... الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾(٥)

استدل الله تعالى على إثبات المعاد من وجهين:

---

١ - التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، (٧٥/١٢)؛ تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، انظر(٢٣/ ٤٨).

٢ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، محمد سيد طنطاوي، (٧٥/١٢)؛ مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، ينظر(٣٢٦/٢٦).

٣ - الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية"، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط:٢، ١٣٩٩ هـ، (٤٧/١)؛ تاج العروس، لمحمد مرتضى الزبيدي انظر (١٦٩/٥).

٤ - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣٤٧/٥).

٥ - سورة الصافات الآيات١٦-٢١.

أ- إنه تعالى قدر على ما هو أصعب وأشد وأشق من خلق الإنسان وهو خلق السموات والأرض والجبال والبحار، فوجب أيضا أن يقدر على إعادة خلق الإنسان.

ب- إنه تعالى قدر على خلق الإنسان في المرة الأولى، والفاعل وهو الله والقابل للخلق وهو الإنسان باقيان كما كانا، فوجب أن تبقى القدرة عليه في الحال الثانية، وهي البعث أو الحشر والنشر(١).

قال الطبري :" يقول الله لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل لهؤلاء: نعم أنتم مبعوثون بعد مصيركم ترابًا وعظامًا أحياء كما كنتم قبل مماتكم، وأنتم داخرون(٢)

ثالثًا- دلالة السورة على الإيمان بالحشر:

لقد دلت سورة الصافات على وجوب الإيمان بالحشر في قوله تعالى: (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ)(٣)

أي تقول الملائكة للزبانية: احشروا الظالمين من كل مكان إلى موقف الحساب مع أشباههم وأمثالهم، فاجعلوا ذوى المعاصي المتشابهة، بعضهم مع بعض، فاجعلوا الزناة معا، والآكلين لحوم الناس والناهشين لأعراضهم كذلك، واجعلوا عابدى الأصنام.(٤)

قال الطبري :" ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفروا بالله في الدنيا وعصوه وأزواجهم وأشياعهم على ما كانوا عليه من الكفر بالله وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة"(٥).

رابعًا- دلالة السورة على الإيمان بالحساب :

لقد دلت سورة الصافات على وجوب الإيمان بالحساب في قوله تعالى: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ)(٦)

---

١ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة، لوهبة الزحيلي، (٢٣/٧٥- ٧٦).

٢ - جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (25/٢١).

٣ - سورة الصافات آية ٢٢.

٤ - تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، (٢٣/٤٨).

٥ - جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (٢١/٢٧).

٦ - سورة الصافات آية ٢٤.

قال القرطبي :" أي احسبوهم. وَهَذَا يَكُونُ قَبْلَ السَّوْقِ إِلَى الْجَحِيمِ، وَفِيهِ تقديم وتأخير، أَيْ قِفُوهُمْ لِلْحِسَابِ ثُمَّ سُوقُوهُمْ إِلَى النَّارِ. وَقِيلَ: يُسَاقُونَ إِلَى النَّارِ أَوَّلًا ثُمَّ يُحْشَرُونَ للسؤال إذا قربوا من النار." إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ" عن أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم"(١)

وفي ذلك الموقف الرهيب لا حيلة لهم، وهم منقادون خاضعون لأمر الله، مستسلمون لعذاب الله -ﷻ-

خامسًا- دلالة السورة على الجنة وما أعد الله لعباده فيها:

لقد دلت سورة الصافات على وجوب الإيمان بالجنة وما أعد الله لعباده فيها من نعيم لا ينقطع المشتمل على أطيب المآكل من الثمار المختلفة والمشارب، ولهم أزواج من النساء العفيفات اللاتي قصرن طرفهن على أزواجهن قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ۞ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ۞ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۞ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۞ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ۞ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ۞ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾ (٢)

إن لهم رزق معلوم حسنه وطيبه ودوامه عندهم، ... يشتمل على الفواكه أو الثمار المتنوعة، وبإكرام بليغ متمم للنعم، حيث يخدمون ويرفهون.

ومساكنهم في جنان النعيم الدائم، على أسرّة يتكئون عليها، ينظر بعضهم إلى وجوه بعض، بسرور وابتهاج. وشرابهم يدار عليهم بآنية من عيون جارية، فيها الخمر التي لا تسكر وغيرها من الأنبذة ونحوها، يطوف بها عليهم ولدان مخلدون... وعندهم زوجات عفيفات، لا ينظرن إلى غير أزواجهن، ... وأقبل هؤلاء المؤمنون بعضهم على بعض في حال تمتعهم، يتساءلون عن أحوالهم التي كانوا عليها في الدنيا ومعاناتهم فيها، إتماما لنعيم الجنة... إن هذا النعيم الدائم الخالد، لهو الفوز الأكبر الذي لا يوصف، ولمثل هذا النعيم والفوز، ليعمل العاملون في الدنيا، ليحظوا به، لا أن يعملوا لحظوظ الدنيا الفانية فقط، المقترنة بالمخاطر والآلام، والمتاعب الكثيرة.(٣)

سادسًا- دلالة السورة على النار وما أعد الله فيها للظالمين:

---

١ - الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي، (٧٤/١٥).

٢ - سورة الصافات الآيات ٤١-٤٨.

٣ - التفسير الوسيط، لوهبة الزحيلي، (٢١٧٢/٣).

لقد دلت سورة الصافات على هذا المعنى في قوله تعالى:(أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ... إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ)(١)

بعد أن وصف سبحانه ثواب أهل الجنة، وذكر ما يتمتعون به من مآكل، ووصف الجنة ورغب ... أتبع ذلك بذكر جزاء أهل النار وما يلاقون فيها من العذاب اللازب الذي لا يجدون عنه محيصا، وهو عذاب في مآكلهم ومشاربهم وأماكنهم، جزاء ما دسّوا به أنفسهم من سيء الأعمال، وما قلدوا فيه آباءهم بلا حجة ولا برهان، من الكفر بالله وعبادة الأصنام والأوثان. (٢)

المبحث الرابع – الإيمان بالقضاء والقدر في السورة الكريمة

توطئة :

الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان الستة كما جاء في حديث جبريل- عليه السلام- حينما سأل رسول الله -ﷺ - ما الإيمان قال: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ صَدَقْتَ..." (٣)

وروي عن أبي الدرداء-رضي الله عنه- عن النبي-ﷺ- قال:" لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ"(٤)

قال الإمام النووي :" تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب السنة وإجماع الصحابة، وأهل الحل والعقد من الخلف والسلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى "(٥)

---

١ - سورة الصافات الآيات٦٢-٧٤.

٢ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة، لوهبة الزحيلي، (١٠٣/٢٣).

٣ - صحيح البخاري، باب بَابٌ: أَدَاءُ الخُمُسِ مِنَ الإِيمَانِ، كتاب الإيمان، حديث (رقم ٥٣)؛ صحيح مسلم، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ، كِتَابُ الْإِيمَانَ، حديث (رقم ١).

٤ - مسند الإمام أحمد، مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ عُوَيْمِرٍ، مسند القبائل، حديث (رقم٢٧٤٩٠).

٥ - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، (١٥٥/١).

أولًا – مفهوم القضاء والقدر وحكم الإيمان بالقضاء والقدر:

القضاء لغةً :

قال ابن فارس" القاف والضّاد والحرف المعتلّ أصل صحيح يدلّ على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه" (١).

ويطلق أيضا القضاء على معان عدّة منها: الأمر، والأداء، والحكم، والفراغ، والإعلام، والموت (٢)

ويتبين مما تقدم أن معنى القضاء في اللغة هو إحكام الشيء وإتمام الأمر.

القدر لغة:

هو القضاءُ، والحُكْمُ، ومَبْلَغُ الشيءِ، ج: أقدارٌ. (٣) قال الرازي قدر الشيء مبلغه ... وَ(الْقدَرُ) أيْضًا مَا يُقدِّرُهُ اللَّهُ مِنَ الْقضَاءِ.(٤)

ويطلق القدر على معان عدّة منها: الحكم، والقضاء، والطّاقة، والتّضييق، والتّقدير (٥).

القضاء اصطلاحًا :

هو إرَادَةُ اللَّهِ الْأزَلِيَّةُ الْمُتَعَلِّقةُ بِالْأشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فِيمَا لَا يَزَالُ (٦)

القدر اصطلاحًا: الْمُرَاد أنَّ اللَّه تَعَالَى عَلِمَ مَقَادِير الْأشْيَاء وَأزْمَانهَا قبْل إيجَادهَا، ثُمَّ أوْجَدَ مَا سَبَقَ فِي عِلْمه أنَّهُ يُوجَد، فكُلّ مُحْدَث صَادِر عَنْ عِلْمه وَقدْرَته وَإرَادَته، هَذَا هُوَ الْمَعْلُوم مِنْ الدِّين بِالْبَرَاهِينِ الْقطْعِيَّة، وَعَلَيْهِ كَانَ السَّلَف مِنْ

---

١ - معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ص ٨٩٣).

٢ - تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، ينظر: (٣/ ٢٩٨٦)، الصحاح، للجوهري (٦/ ٢٤٦٣)، لسان العرب، لابن منظور (١٥/ ١٨٦).

٣ - القاموس المحيط، للفيروز آبادي، صـ٥٩١.

٤ - مختار الصحاح، للرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.صـ ٢٤٨.

٥ - تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، ينظر: (٣/ ٢٨٩٦)؛ الصحاح، للجوهري، انظر(٢/ ٧٨٦)، لسان العرب، لابن منظور، انظر (٥/ ٧٤).

٦ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين السفاريني، (٣٤٥/١).

الصَّحَابَة وَخِيَار التَّابِعِينَ، إِلَى أَنْ حَدَثَتْ بِدْعَة الْقدَر فِي أَوَاخِر زَمَن الصَّحَابَة.(١)

الفروق بين القضاء والقدر:

اختلف العلماء في ذلك على أقوال، منها :

١- المراد بالقدر: التقدير، وبالقضاء: الخلق كقوله -ﷻ- :﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾(٢)، أي خلقهن، قال الراغب الأصفهاني: " القضاء من الله تعالى أخص من القدر، لأنّه الفصل بين التقديرين، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع " (٣) .

فالقضاء والقدر - بناء على هذا القول - أمران متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه (٤).

٢- وقيل: القضاءُ هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدرُ هو وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق(٥) يقول ابن حجر - رحمه الله تعالى- : : " وقالوا - أي العلماء -: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله "(٦).

٣- وقيل إنه لا فرق بين القضاء والقدر؛ فكل واحد منهما بمعنى الآخر؛ فإذا أطلق التعريف على أحدهما شمل الآخر؛ ويعبر عن كل واحد منهما كما يعبر عن

---

١ - فتح الباري، لابن حجر، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ، (١١٨/١).

٢ - سورة فصلت آية ١٢.

٣ - المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صـــ ٦٧٥.

٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٧٨/٤).

٥ - القضاء والقدر، لعمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط٢٣، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ص٢٤.

٦ - فتح الباري، لابن حجر، (٤٣٦/١٨).

الآخر؛ فهما مترادفان من هذا الاعتبار، فيقال: هذا قدر الله، ويقال: هذا قضاء الله، ويقال: هذا قضاء الله وقدره(١).

والراجح – والله تعالى أعلم- ما ذهب إليه كثير من العلماء بأن القضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى فأصبح لكل منهما معنى يخصه، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنى الآخر.

ثانيًا- درجات القدر في السورة الكريمة :

لقد دلت سورة الصافات على مرتبتين من مراتب القدر الأربع التي من لم يؤمن بها لم يتحقق له الإيمان بالقضاء والقدر والمراتب الأربع هي (٢) :

المرتبة الأولى- وهي علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية- وهي كتابته لها قبل كونها قبل كونها.

المرتبة الثالثة- مشيئته لها.

المرتبة الرابعة – خلقه لها .

- دلالة السورة على المرتبة الثالثة من مراتب القدر وهي: مرتبة المشيئة :

وهي " الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهما متلازمتان من جهة ما كان وما سيكون، ولا ملازمة بينهما من جهة ما لم يكن، ولا هو كائن، فما شاء الله تعالى كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله إياه لا لعدم قدرة الله عليه "(٣)

لقد دلت سورة "الصافات" على إثبات مرتبة المشيئة لله -ﷻ- فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة ولا سكون في السماوات ولا في الأرض إلا بمشيئته، قال تعالى:(سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)(٤) قال الرازي:"

---

١ - القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، لعبد الرحمن بن صالح المحمود، دار النشر الدولي الرياض، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م. صـــ ٤١.

٢ - شفاء العليل، لابن القيم، (٩١/١).

٣ - أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، للحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، صـــ ١٤٩.

٤ - سورة الصافات آية ١٠٢.

وَإِنَّمَا عَلَّقَ ذَلِكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ التَّبَرُّكِ وَالتَّيَمُّنِ، وَأَنَّهُ لَا حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعِصْمَةِ اللَّهِ وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ"(١).

- دلالة السورة على المرتبة الرابعة من مراتب القدر(مرتبة الخلق):

وهي الإيمان بأن الله -ﷻ- خالق كل شيء، وأنه ما من ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا فيما بينهما إلا والله خالقها وخالق حركاتها وسكناتها سبحانه، لا خالق غيره ولا رب سواه(٢) .

ولقد دلت السورة على مرتبة الخلق في قوله تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)(٣)

وقد استدل أهل السنة بهذه الآية على أن الأفعال خلق لله عز وجل، واكتساب للعباد، وفي هذا إبطال مذاهب القدرية والجبرية(٤).

يقول الرازي :" فَقَوْلُهُ: وَما تَعْمَلُونَ مَعْنَاهُ وَعَمَلَكُمْ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ صَارَ مَعْنَى الْآيَةِ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ عَمَلَكُمْ "(٥)، وقال النسفي:" أي وخلق أعمالكم وهو دليلنا في خلق الأفعال أي الله خالقكم وخالق أعمالكم فلم تعبدون غيره"(٦)

المبحث الخامس – أثر العقيدة على الفرد والمجتمع في ضوء سورة الصافات

إن مما تجدر الإشارة إليه أن للعقيدة أثر في توجيه سلوك الفرد وتصرفاته، وأن أي انحراف في هذه العقيدة، يبدو واضحًا في حياة الإنسان العملية

---

١ - مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، (٣٥٠/٢٦).

٢ - أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، للحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، صـــ١٤٩.

٣ - سورة الصافات آية ٩٦.

٤ - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٩٦/١٥)؛ التفسير المنير في العقيدة والشريعة، لوهبة الزحيلي، (١١٥/٢٣).

٥ - مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، (٣٤٣/٢٦).

٦ - تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، للنسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، (١٣٠/٣).

والخلقية، ومن ثم يؤثر ذلك بشكل ملموس في حياة المجتمع؛ لأننا لا نستطيع الفصل بين المجتمع وأفراده ولذلك سوف ينقسم هذا المبحث إلى قسمين:

أولًا – أثر العقيدة على الفرد في ضوء سورة الصافات :

ثانيًا – أثر العقيدة على المجتمع في ضوء سورة الصافات :

أولًا – أثر العقيدة على الفرد في ضوء سورة الصافات :

للعقيدة الإسلامية أهمية عظيمة في حياة الإنسان، بل في حياة البشرية، ويمكن أن نوجز هذه الأهمية كما وردت في سورة الصافات في النقاط الآتية :

١- طاعة الله -ﷻ- ورسوله :

لقد وردت آيات في سورة الصافات تحض على طاعة الله-ﷻ- وطاعة رسوله-ﷺ- وطاعة الوالدين طاعة لله -ﷻ- منها :

- قوله تعالى:﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾(١)

فَالْحِكْمَةُ فِي مُشَاوَرَةِ الِابْنِ فِي هَذَا الْبَابِ أَنْ يُطْلِعَ ابْنَهُ عَلَى هَذِهِ الْوَاقِعَةِ لِيَظْهَرَ لَهُ صَبْرُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَتَكُونَ فِيهِ قُرَّةُ عَيْنٍ لِإِبْرَاهِيمَ حَيْثُ يَرَاهُ قَدْ بَلَغَ فِي الْحِلْمِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ الْعَظِيمِ، ... وَإِنَّمَا عَلَّقَ ذَلِكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ التَّبَرُّكِ وَالتَّيَمُّنِ، وَأَنَّهُ لَا حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا بِعِصْمَةِ اللَّهِ وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ(٢) قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْإِشَارَةِ: لَمَّا اسْتَثْنَى وَفَّقَهُ اللَّهُ لِلصَّبْرِ(٣).

وَلِهَذَا كَانَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيمَا ظَهَرَ لَهُ حُسْنُهُ وَمَا لَمْ يَظْهَرْ، وَتَحْكِيمُ عِلْمِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ عَلَى عِلْمِهِ وَحُكْمِهِ فَإِنَّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَصَلَاحَ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ(٤).

٢- الانقياد لأمر الله :

---

١ - سورة الصافات الآيتان ١٠١- ١٠٢.

٢ - مفاتيح الغيب، لفخرالدين الرازي، (٣٥٠/٢٦)؛ وانظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة، لوهبة الزحيلي، (١٢٦/٢٣).

٣ - الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي، (١٠٣/١٥).

٤ - الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، (١١٦/٦).

وتحدثت السورة عن هذا المعنى في قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾(١)

أي انقادا لأمر الله(٢) : دليل على أن الأب والابن كانا في درجة واحدة من التسليم والتفويض لأمر الله تعالى(٣).

٣- صقل شخصية المؤمن :

إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ابتلوا بأنواع الابتلاء والامتحان وصبروا صبرًا عظيمًا، وخرجوا من كل امتحان راسخي الإيمان ثابتين ثبات الجبال الرواسي لم يتزعزعوا ولم يضطربوا، وهذا ما أكدت عليه سورة الصافات حيث تعرضت السورة إلى قصص بعض الأنبياء السابقين وهم نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وهارون، وإلياس، ولوط، ويونس عليهم السلام، ولكنها فصّلت قصة إبراهيم في موقفين حاسمين: أولهما- تحطيمه الأوثان، وثانيهما- إقدامه على ذبح ابنه، ليتجلى للناس جميعا مدى (الإيمان والابتلاء والتضحية) فإنه بادر لتنفيذ أمر ربّه، ممتحنا صبره، مجتازا بالإيمان والصدق محنة الابتلاء، مضحيّا في سبيل رضوان الله بابنه الذي رزقه، فأكرمه الله بالفداء الذي جعل سنّة في الأضحية(٤)

- قال تعالى:﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾(٥)

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: إن أمرنا إياك يا إبراهيم بذبح ابنك إسحاق، لهو البلاء، يقول: لهو الاختبار الذي يبين لمن فكَّرَ فيه أنه بلاء شديد ومِحْنة عظيمة. وكان ابن زيد يقول: البلاء في هذا الموضع الشرّ وليس باختبار(٦).

ويقول الزحيلي:" أي إن هذا الاختبار لهو الاختبار الصعب الواضح والمحنة التي لا محنة أصعب منها، حيث اختبره الله في مدى طاعته بذبح ولده، فصبر محتسبا

---

١ - سورة الصافات آية ١٠٣.

٢ - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٠٤/١٥).

٣ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة، لوهبة الزحيلي، (١٢٦/٢٣).

٤ - المرجع نفسه، (٦٢/٢٣).

٥ - سورة الصافات آية ١٠٦.

٦ - جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (٧٨/٢١).

الأجر عند ربه. وقيل: إن هذا لهو النعمة الظاهرة، يقال: أبلاه الله إبلاء وبلاء: إذا أنعم عليه(١).

٤- الاقتداء بالأنبياء –عليهم السلام- في مشروعية الدعاء بالولد:

وقد تحدثت السورة عن هذا المعنى في قوله تعالى:﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٢)

أي رب هب لي أولادا مطيعين يعينونني على الدعوة، ويؤنسونني في الغربة، ويكونون عوضا من قومي وعشيرتي الذين فارقتهم، فاستجاب ربه دعاءه فقال: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) أي فبشرناه بمولود ذكر يبلغ الحلم ويكون حليما(٣).

قال صاحب الكشاف: - وقد انطوت البشارة على ثلاثة: على أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ أوان الحلم، وأنه يكون حليما (٤).

ثانيًا–أثر العقيدة على المجتمع في ضوء سورة الصافات :

إن تأثير العقيدة في الفرد ينعكس ذلك على المجتمع، وذلك لأن الأفراد هم لبنات المجتمع، فصلاح الفرد فيه صلاح المجتمع، وفساده فيه فساده، ومن أبرز آثار العقيدة على المجتمع كما وردت في سورة الصافات :

١- إجابة دعاء المحسن وتحقق نصر الله –ﷻ-على الكفار :

لقد أكدت سورة الصافات في الكثير من آياتها على إجابة دعاء المحسن وتحقق نصر الله –ﷻ- على الكفار وهذا ما ورد في قصة نوح -عليه السلام- قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ .... ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾)٥)، قال صاحب الكشاف :" إنا أجبناه أحسن الإجابة، وأوصلها إلى مراده وبغيته من نصرته على أعدائه والانتقام منهم بأبلغ ما يكون هُمُ الْباقِينَ هم الذين بقوا

١ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة، لوهبة الزحيلي، (١٢٢/٢٣).

٢ - سورة الصافات آية ١٠٠.

٣ - تفسير المراغي، المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١- ١٤١٨هـ، (١٤/٥).

٤ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (٥٣/٤).

٥ - سورة الصافات آية ٧٥-٨٢.

وحدهم وقد فنى غيرهم، فقد روى أنه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده "(١)

وقال البيضاوي :" ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ ﴾، أي ولقد دعانا حين أيس من قومه... فأجبناه أحسن الإجابة ... وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ من الغرق أو أذى قومه"(٢)

٢- الهجرة والعزلة واجبة إذا لم يتمكن المسلم من إقامة شعائر دينه :

لقد دلت السورة على هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾(٣)

قال الرازي :" دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي تَكْثُرُ فِيهِ الْأَعْدَاءُ تَجِبُ مُهَاجِرَتُهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَصَّهُ بِأَعْظَمِ أَنْوَاعِ النُّصْرَةِ، لَمَّا أَحَسَّ مِنْهُمْ بِالْعَدَاوَةِ الشَّدِيدَةِ هَاجَرَ مِنْ تِلْكَ الدِّيَارِ، فَلَأَنْ يَجِبَ ذَلِكَ عَلَى الْغَيْرِ كان أولى(٤)

وقال القرطبي: " أَيْ مُهَاجِرٌ مِنْ بَلَدِ قَوْمِي وَمَوْلِدِي إِلَى حَيْثُ أَتَمَكَّنُ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّي فَإِنَّهُ" سَيَهْدِينِ" فِيمَا نَوَيْتُ إِلَى الصَّوَابِ(٥).

وقال الجزائري:" أي إني مهاجر إلى ربي سيهدين إلى مكان أعبده فيه فلا أمنع فيه من عبادته "(٦)

٣- مناصرة الرسل عليهم السّلام وتحقق نصر الله -ﷻ- على الكفار :

أكدت السورة على مناصرة الرسل عليهم السلام وتحقق نصر الله -ﷻ-على الكفار في العديد من الآيات منها:

- قوله تعالى:﴿ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾ (٧)

---

١ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (٤٨/٤).

٢ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (١٢/٥).

٣ - سورة الصافات آية ٩٩.

٤ - مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، (٣٤٤/٢٦).

٥ - الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي (٩٧/١٥).

٦ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، (٤١٨/٤).

٧ - سورة الصافات آية١١٦.

قال المراغي:" أي ونصرناهم على أعدائهم فغلبوهم وملكوا أرضهم وأموالهم وما كانوا قد جمعوه طوال حياتهم فكانوا أصحاب الصّولة والسلطان والدولة والرفعة(١).

- قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ... وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٢)

أي ولقد سبق وعدنا أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة، فننصرهم على أعدائهم بقهرهم والنيل منهم، بقتلهم أو تشريدهم أو إجلائهم عن الأوطان أو أسرهم أو نحو ذلك (٣) ونصر أهل الحق والإيمان يقابله هزيمة أهل الكفر والعصيان، والضلال والخذلان، وسيجد كل فريق عاقبته، ونتيجة طريقته، وهذا حق وعدل، وإقرار لما يستوجبه فعل كل إنسان من خير أو شر، وإيمان أو كفر"(٤)

٤- الاعتبار بسنن الله -ﷻ- في الأمم السابقة :

لقد تناولت سورة الصافات قصص الأنبياء مع أممهم ونصرة الله -ﷻ-لأنبيائه على أممهم وجعلهم عبرة لغيرهم : قال تعالى:﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ..... وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٥)

إن إلياس لنبي وإنه لمن المرسلين إلى قومه بنى إسرائيل، واذكر إذ قال لقومه: ألا تتقون الله ربكم، وتخافون يوما يجعل الولدان شيبًا، أتدعون ربا غيره، وتتركون الله ربكم الذي هو أحسن الخالقين؟ وليس هناك خالق سواه يستحق العبادة والتقديس: وهو الله ربكم وخالقكم، وخالق آبائكم الأولين. ومن كان كذلك فلا إله غيره، ولا معبود سواه.

---

١ - تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، (٧٨/٣٢).

٢ - سورة الصافات الآيات١٧١- ١٧٣.

٣ - تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، (٩١/٢٣).

٤ - التفسير الوسيط، لوهبة الزحيلي، (٢١٩١/٣).

٥ - سورة الصافات الآيات ١٧١- ١٧٣.

فكذبوه وكفروا به وبرسالته فكان جزاؤهم أنهم محضرون في جهنم يذوقون العذاب الأليم، لكن عباد الله المخلصين الذين أسلموا لله رب العالمين، وآمنوا بالرسل الأكرمين لهم جنات الخلد، فيها ينعمون وبظلها يتمتعون(١).

- قال تعالى:﴿ وَإِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ .... وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (٢)

يقول الله -ﷻ- هذا لوط من المرسلين الذين أرسلوا لقومهم يخرجونهم من الظلمات إلى النور، ويهدونهم الطريق المستقيم فكذبوا وأوذوا(٣) فأهلكنا قومه الذين كذّبوا برسالته وهم أهل الفاحشة (اللواط) عدا من نجيناهم، وهنا نبّه الله تعالى مشركي مكة إلى الاعتبار بمصير هؤلاء المكذبين العصاة، فقال:" وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ، أَفَلا تَعْقِلُونَ" أي وإنكم يا أهل مكة تمرون على منازلهم التي فيها آثار العذاب في وقت الصباح، أي بالنهار ذهابا إلى الشام، وفي الليل أثناء رجوعكم من الشام أفلا تتدبرون بعقل واع، وتتعظون بما تشاهدونه في ديارهم من آثار التدمير وعقوبة الله النازلة بهم، فتخافوا من أن يحلّ بكم نفس العذاب، وتصيروا إلى مثل المصير، لمخالفتهم رسولهم(٤).

٥- مجازاة الله-ﷻ- لعباده الصالحين :

- قال تعالى:﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥)

يقول الطبري:" يقول تعالى ذكره: إنا كما فعلنا بنوح مجازاة له على طاعتنا وصبره على أذى قومه في رضانا وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ وأبقينا عليه ثناء في الآخرين (كَذَلِكَ نَجْزِي) الذين يحسنون فيطيعوننا، وينتهون إلى أمرنا، ويصبرون على الأذى فينا"(٦)

---

١ - التفسير الواضح، التفسير الواضح، لمحمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد – بيروت، ط١٠ - ١٤١٣هـ، (٢١٩/٣).

٢ - سورة الصافات الآيات ١٣٣-١٣٨.

٣ - التفسير الواضح، لمحمد محمود الحجازي، (٢٢٠/٣).

٤ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة، لوهبة الزحيلي، (١٣٧/٢٣).

٥ - سورة الصافات آية ٨٠.

٦ - جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (٦٠/٢١).

- قال تعالى:﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) قال ابن كثير:" أَيْ هَكَذَا نَصْرِفُ عَمَّنْ أَطَاعَنَا الْمَكَارِهَ وَالشَّدَائِدَ، وَنَجْعَلُ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا "(٢)

- قال تعالى:﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣)

قال محمد سيد طنطاوي :" أي: فعلنا ما فعلنا من تفريج الكرب عن إبراهيم وإسماعيل، لأن سنتنا قد اقتضت أن نجازي المحسنين الجزاء الذي يرفع درجاتهم، ويفرج كرباتهم، ويكشف الهم والغم عنهم"(٤)

فهذا إخبار من الله -ﷻ- بأن إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام كانا محسنين في طاعة الله -ﷻ-، وعبادته وامتثال أوامره؛ فأفاض عليهما الفرج بعد الشدة، وأغرَّهما وأعلى شأنهما، وأتم عليهما نعمه العظيمة، وكذلك يجزي الله -ﷻ- كل المحسنين فيصرف عنهم المكاره والشدائد، ويجعل لهم من أمرهم فرجًا ومخرجًا.

الخاتمة

وفي الختام أحمد الله تبارك وتعالى على التمام، وأحمده -ﷻ- بما يسر وأعان، وقد خلصت في هذا البحث إلى ما يلي:

- إن هناك أغراضًا ومقاصدًا تتناسب مع فترة نزول سورة الصافات، والبيئة التي نزلت فيها، وأن فيها ربطاً متواصلاً لماضي التاريخ وحاضر الدعوة ومستقبل الأمة .

- تحدثت السورة على أن هناك مجموعة من دلالات التوحيد التي أظهرت أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي بيده كلّ شيء وهو المتفرد بالوحدانية وأنه -ﷻ- هو المؤثر في هذا الكون .

- تكشف السورة عن زيف وسخف وبطلان الأسطورة التي كانت سائدة في الجاهلية- وهي أن هناك قرابة بين الله -ﷻ- وبين الجن وأنه من التزاوج بين

---

١ - سورة الصافات آية ١٠٥.

٢ - تفسير القرآن العظيم، ٣٠/٧.

٣ - سورة الصافات آية ١١٠.

٤ - التفسير الوسيط، لمحمد سيد طنطاوي، (١٠٢/١٢).

الله -ﷻ- والجنة ولدت الملائكة، ثم تزعم أن الملائكة إناث ، وأنهن بنات الله-ﷻ-.

- تبين سورة الصافات سنة من سنن الله -ﷻ- وهي أن يرد الله -ﷻ- أعداءه وأعداء الإسلام مهزومين خائبين شريطة أن يكون أنصار الحق مؤمنين موقنين بنصر الله -ﷻ- لعباده الصالحين .

- تتناول سورة الصافات قضية البعث والحساب والجزاء، ثم تعرض بهذه المناسبة مشهداً مطولاً فريداً من مشاهد القيامة الحافلة بالمناظر والحركات والانفعالات والمفاجآت .

- تعرض السورة لسلسلة من قصص الرسل: نوح وإبراهيم وبنيه وموسى وهارون وإلياس ولوط ويونس؛ تتكشف فيها رحمة الله ونصره لرسله وأخذه للمكذبين بالعذاب والتنكيل.

- أكدت السورة على أن الإيمان بالقدر يتضمن التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله تعالى وقدره، ولا يكون شيء في هذا الكون إلا بإرادته، ولا يخرج عن مشيئته شيء.

- أبرزت الدراسة أن الإيمان باليوم الآخر يتضمن التصديق الجازم بكل ما أخبر الله به عن هذا اليوم من بعث وحشر وحساب ونشر وميزان وجزاء وجنة ونار، وما أعد الله لأهلهما فيهما.

- وضحت سورة الصافات أن للعقيدة الصحيحة آثاراً على الفرد، وعلى المجتمع فهي تحقق وحدة صفه وترابط أفراده، كذلك تفرض على معتقديها أن يحققوا الأخوة الصادقة التي تجمع بينهم ولا تفرق، وتقرب ولا تباعد .

هذا وبالله التوفيق فما كان من صواب فهو من الله -ﷻ-، وما كان من خطأ أو ذلل أو نسيان فمني ومن الشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصـــادر والمراجـــع

- القرآن الكريم برواية حفص .
١- أسرار ترتيب القرآن، للسيوطي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، ط٢، ١٣٩٨ هـ- ١٩٧٨م.
٢- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، للحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، تحقيق: حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ .
٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١- ١٤١٨هـ.
٤- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٥- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (المتوفى: ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣ هـ .
٦- الإيمان، لمحمد ياسين، مكتبة السنة، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
٧- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤ م.
٨- البيان في عدّ آي القرآن، للداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٩- تاج العروس في جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي(المتوفى: ١٢٠٥هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٦هـ.
١٠- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور، الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤ هـ.
١١- التعريفات، للجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تحقيق :عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٢- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لأبي حيان الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٣- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

١٤- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر– دمشق، ط٢، ١٤١٨ه.
١٥- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، للنسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.
١٦- التفسير الواضح، لمحمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد – بيروت، ط١٠- ١٤١٣هـ.
١٧- التفسير الوسيط، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط١- ١٤٢٢ه.
١٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
١٩- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢٠- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢١- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٢٢- جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٣- الجامع الكبير = سنن الترمذي، للترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٩٧٥م.
٢٤- الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م
٢٥- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام، ط١، ١٣٩٩هـ.

٢٦- الرد على الزنادقة والجهمية، لأحمد بن حنبل، تحقيق : محمد حسن راشد، المطبعة السلفية - القاهرة، ١٣٩٣هـ.
٢٧- سنن أبي داود، لأبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت، د- ت.
٢٨- السنن الكبرى، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٢٩- شعب الإيمان، للبيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.
٣٠- شفاء العليل، لابن قيم الجوزية، تحقيق مصطفى الشلبي، مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٣١- الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية"، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط، ٢، ١٣٩٩ هـ.
٣٢- صحيح البخاري، للبخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣٣- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د- ت.
٣٤- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق :مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د – ت.
٣٥- غريب القرآن، لابن قتيبة الدينوري (المتوفى : ٢٧٦هـ)، تحقيق : أحمد صقر، دار الكتب العلمية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.
٣٦- الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٣٧- فتح الباري، لابن حجر، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.
٣٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي القرطبي (المتوفى: ٤٥٦هـ) مكتبة الخانجي – القاهرة، د – ت .

٣٩- القاموس المحيط، للفيروزآبادي (المتوفى سنة٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـــ .
٤٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ - ١٤٠٧هـ.
٤١- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، لعبد الرحمن بن صالح المحمود، دار النشر الدولي الرياض، ط١، عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٤٢- القضاء والقدر، لعمر الأشقر، لعمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط٢٣، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
٤٣- لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ - ١٤١٥ هـ .
٤٤- لسان العرب، لابن منظور، (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣ - ١٤١٤هـ.
٤٥- مجموع الفتاوى، لابن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)، تحقيق : أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م .
٤٦- مختار الصحاح، ، للرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
٤٧- المخصص، لابن سيده، تحقيق : خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت – ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٤٨- مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م
٤٩- مذكرة التوحيد، لعبد الرزاق عفيفي (المتوفى: ١٤١٥هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ.
٥٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٥١- مَصَاعِدُ النَّظَر للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَر، لإبراهيم البقاعي (المتوفى:٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف – الرياض، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

٥٢- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي، دار ابن القيم – الدمام، ط١، ١٤١٠ – ١٩٩٠م

٥٣- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، لمحمد بن خليفة التميمي أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٩٩م.

٥٤- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٥- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٤٢٠ هـ.

٥٦- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١ - ١٤١٢ هـ.

٥٧- الملل والنحل، للشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، تعليق محمد سيد كيلاني، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ .

٥٨- منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٠٦ هـ.

٥٩- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٦٠- الموسوعة القرآنية، خصائص السور، لجعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز ابن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط١- ١٤٢٠ه.

٦١- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.